ندوة وطنية: **العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية**
حدود الخصوصية ومتطلبات التكامل
(كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)

المشاركة بورقة بحثية:
المحور الرابع: تحديد واستقراء المتطلبات الضرورية للتكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والإنسانية والاجتماعية.

عنوان البحث:

دور العلوم الإسلامية في بناء المرجعية القيمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

الأستاذ الدكتور: الجمعي شبايكي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة / الجزائر

كلمات مفتاحية: المرجعية القيمية، العلوم الإسلامية، دور العلوم الإسلامية، علاقة العلوم الإسلامية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

مفهوم القيم ودورها في بناء النموذج الإنساني الأمثل

يصعب تحديد مفهوم القيم (جمع قيمة) لان التعاطي مع هذا المصطلح يحتاج الى ضبط منهجي وتحديدا للإطار التخصصي والمجال المعرفي له فقد ارتبطت بهذا المصطلح خلفيات دينية وثقافية وايديولوجية وعرفية بل اختلفت أيضا بحسب اختلاف المستوى العلمي والجانب الفكري للأشخاص، فكيف إذا أضفنا إلى ذلك كله إشكال الاشتقاق اللغوي للمصدر (قيمة) هل هو من الجذر الواوي (ق و م) ام من الجذر اليائي (ق ي م)، كل ذلك لا يثنينا عن محاولة ضبط مفهوم القيمة والقيم لغويا واصطلاحيا فنقول:

يرجع كثير من الباحثين والدارسين المصدر (قيمة) جمعها (قيم) الى الفعل الثلاثي الواوي (قوَّم) وليس الفعل اليائي (قيَّم) وذلك بحجة ان المعاجم العربية خلت من الجذر (ق ي م)

يميل الطبري إلى أن "(قيامًا) و (قِيَمًا) و (قِوَامًا) في معنى واحد. وإنما (القيام) أصله (القوام)، غير أن (القاف) التي قبل (الواو) لما كانت مكسورة، جعلت (الواو) (ياء) لكسرة ما قبلها، كما يقال: (صُمْت صيامًا)، (وصُلْت صِيالا)، (105) ويقال منه: (فلان قوام أهل بيته) و (قيام أهل بيته)"[1]، "وقال البصريون: قيما جمع قيمة؛ كديمة وديم، أي جعلها الله قيمة للأشياء. وخطأ أبو علي هذا القول وقال: هي مصدر كقيام وقوام وأصلها قوم، ولكن

[1]- الطبري:4.

شذت في الرد إلى الياء كما شذ قولهم: جياد في جمع جواد ونحوه[2]. وتفصيل ذلك بأنّ "(قيما) مصدر على وزن فِعَل بمعنى فِعَال: مثل عِوذَ بمعنى عياذ، وهو من الواوي وقياسُه قِوَم، إلاّ أنّه أعلّ بالياء شذوذاً كما شذّ جياد في جمع جَواد وكما شذّ طيال في لغة ضَبَّةَ في جمع طويل، قصدوا قلب الواو ألفاً بعد الكسرة كما فعلوه في قيام ونحوه، إلاّ أنّ ذلك في وزن فِعال مطّرد، وفي غيره شاذّ لكثرة فِعال في المصادر، وقلّة فِعَل فيها، وقيم من غير الغالب"[3].

ولذلك "يخطّئون من يقول: قيّموا الدار، أي جعلوا لها قيمة معلومة، باعتبار أن الصواب: قوّموا الدار تقويما؛ لأن الفعل واويّ"[4]، ولا أرى في ذلك خطأ ما دام قد شاع استعمالهما بمعنى واحد.

الاختلاف في تحديد مفهوم القيم:

تدلّ كلمة قيمة على معان متعددة تعدّد الجوانب والميادين الدالّة عليها والخادمة لها، فمنها الجانب الروحي، ومنها ما له علاقة بالميدان الاجتماعي، ومنها القيمة التي تبلور مفهومها تبعا للجانب المادّي... وهي بذلك تؤثّر وتتأثّر بكلّ هـٰته الجوانب، ولكن ما تستوي فيه قيام أفراد المجتمع بحمايتها وصيانتها إن كانت مصلحة لهم، وقيامهم بنبذها وهجرها إن كانت بالضدّ من ذلك.

ولكن من المعلوم أيضا أنّ منظومة القيم أصابها الخلل، فالمعايير والمقاييس التي تخدم الأهواء والشّهوات طغت، كما وانحرفت مقاصد الإنسان فأصابها الفساد الاجتماعي والطغيان المالي والاستبداد السياسي والدّيني، وتبعا لعلاقة التّأثير والتأثّر بين هذه الحقول والمجتمعات وما أفرزته من موروثات فكريّة وسلوكات وأعراف تغيّرت رؤى الناس للقيم.

كذلك فإنّ الاختلاف في مفهوم القيمة يمكن إرجاعه إلى التّباين في النّظر إلى مصدر القيم؛ هل هو الدّين أم الفرد أم المجتمع، وكيفيات تجلّياتها؛ هل هي قبلية من خلال الأحكام والتفضيلات التي يقوم بها الفرد، أم هي بعدية عن طريق سلوكيّاته[5].

فقد جاء في موسوعة لالاند:

قيمة- valeur[6]

تستعمل هذه الكلمة في كل مفاهيمها سواء بالمعنى المجرّد (ذو قيمة، له شيء من القيمة) أم بالمعنى العيني (يكون قيمة) هذا الاستعمال الأخير أكثر حداثة.

---

[2]- القرطبي:4.

[3]- ابن عاشور:4.

[4]- معجم الأخطاء الشائعة (معجم يعالج الأخطاء اللغوية الشائعة ويبين صوابها مع الشرح والامثلة): محمد العدناني، دار النشر: مكتبة بيروت -لبنان-، الطبعة الثانية (1985)، ص212.

[5]- أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشّباب: السعيد بومعيزة، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، 2005-2006، ص150.

[6]- موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند، تعريب أحمد خليل، عويدات، بيروت- باريس، ط2- 2001، ص1522.

أ. ذاتيّا: طابع الأشياء الكامن في كونها مقدّرة أو مرغوبة نسبيّا لدى شخص، أو عموما لدى جماعة أشخاص معيّنين.

ب. موضوعيّا وعلى سبيل الحمل: سمات الأشياء القائمة على ما تستحقّ من تقدير نسبي.

ج. موضوعيّا، لكن بصفة شرطيّة: سمة الأشياء الكامنة في أنّها تشبع غرضا معيّنا.

د. خصوصا من الزاوية الاقتصاديّة: سمة الأشياء الكامنة في كونها قابلة للتّبادل، في جماعة معيّنة وفي لحظة محدّدة مقابل سلعة محدودة تعتمد وحدة للتّبادل. بهذا المعنى تعني القيمة السّعر المتداول عموما. وبهذا المعنى يقال غالبا قيمة تبادليّة مقابل القيمة الاستعماليّة.

مدلولها في اللغات اللاتينيّة:

لمفهوم القيمة في اللغات الأجنبية دلالات تلامس دلالات هذا المفهوم في اللغة العربية حيث:

يقال في اللغة اللاتينية "valeres"؛

ويقال في اللغة الفرنسية " valeurs "؛ ويقال في اللغة الإنجليزية "values "؛ ويقال في اللغة الألمانية "werte".

وترجع كلمة valeur في أصلها الاشتقاقي إلى الفعل اللاتيني valeo ويعني:أنا قوي، وأنا في صحة جيدة، كما تدل على الشجاعة و البسالة والصلابة والقوة، وهو معنى يتضمن فكرة المقاومة والصلابة و التأثير و الفعالية و ترك بصمات قوية على الأشياء[7].

ومع مضيّ الزّمن انتقل استعمالها إلى مختلف العلوم والميادين: "إنّها كلمة يستعملها أصحاب الاختصاصات المختلفة من لغويّين وموسيقيين، ورياضيين واقتصاديين وفلاسفة وغيرهم... وعلماء الاقتصاد يدلون بها على الصّفة التي تجعل شيئا ممكن الاستبدال بشيء آخر. وهذه القيمة هي قيمة المبادلة التي تمتاز عن قيمة الاستعمال المرادفة للمنفعة، وهي في هذا المجال معنى ذاتي تماما لا وجود له إلاّ بالشّخص. ومع هذا فإنّ كثيرين من علماء الاقتصاد حاولوا أن يحدّدوا معيارا لقيمة المبادلة... ومهما يكن من أمر هذه البحوث فإنّه يبدو من المستحيل في الواقع وجود معيار مقبول لقيمة المبادلة في شيء واحد مثل العمل، وحتى في مؤلف من عناصر متعدّدة مثل المنفعة والندرة والعمل لا يمكن أن تحدّد أهميّتها النسبيّة تحديدا دقيقا.

وهذه المشاكل هي التي دفعت كثيرين من علماء الاقتصاد إلى الانصراف عن تحليل قيمة المبادلة التي هي تصوّر غامض وإلى الاستعاضة عنها بفكرة الثمن التي يمكن درسها دراسة عميقة"[8].

انتقال مدلول القيمة إلى الفلسفة:

---

[7]- الرابطة المحمدية للعلماء:مفهوم القيم، مركز دراسات القيم، المغرب. عن: JOHN. Laird, The idea of value, 1929.

[8]- نظريّة القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقيّة: الرّبيع ميمون، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، 1980، ص29-31.

استعمل الفلاسفة كلمة القيمة في مجالات متعدّدة وأولوها عناية خاصّة، حتّى إنّهم أسّسوا لها نظريّة أو فلسفة بأكملها هي "فلسفة القيم".

و"تكون القيمة كلمة من اللغة الدّارجة، بكلّ مفاهيمها، لكن الاستعمال التقني الأول لهذه الكلمة (باستثناء الرياضيات) كان استعمالا في الاقتصاد السياسي. فمن هناك جرى نقلها إلى اللسان الفلسفي المعاصر، حيث حلّت في عدد كبير من الاستعمالات محلّ تعبير Bien القديم. ولقد أسهم نيتشه[9] إسهاما كبيرا في هذا النّشر.

المعنى الدّقيق لقيمة يصعب تحديده بدقّة لأنّ هذه الكلمة تمثّل في الغالب مفهوما متحرّكا انتقالا من الواقع إلى القانون، من المرغوب فيه إلى الرّغوب"[10].

مفهوم القيمة الفلسفي:

تفيد القيمة " المعنى الخلقي الذي يستحقّ أن يتطلّع إليه المرء بكليّة ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه"، أي أنّه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين اثنين:

استحقاق التوجّه إليه واستحقاق التّطبيق له؛ وبناء على هذا التّحديد الفلسفي الإجمالي لكلمة قيمة يجوز أن نستعمل لفظين آخرين يسدّان مسدّهما، أحدهما اختصّ به الفلاسفة، وهو لفظ المثال أو قل المثال الأعلى؛ ونذكر من المُـثُـل التي اشتغل بها هؤلاء قديما: الخير والحقّ والجمال، ومن تلك التي يشتغلون بها حديثا: الحريّة والمساواة والعدْل، أمّا اللفظ الثاني فقد اختصّ به علماء الأصول، وهو لفظ المصلحة[11].

وهي بذا ما يُتشوّف إلى تمثّله وتحقيقه لفضله المتحقّق معنويا أو مادّيا، والفلاسفة منذ القدم؛ اهتموا بالقيمة ونظروا إليها بمناظير مختلفة، فمعالجتهم لها مرّت عبر مراحل اختلفت فيها آراؤهم وتباينت، سواء انتموا لنفس العصر أم لم ينتموا. واهتموا بها من خلال اهتمامهم بمختلف الجوانب الحياتية العقلية والاقتصاديّة والفنيّة...إلخ. "والثابت في الأمر أن الفلسفات الكبرى، كل الفلسفات، تتكشّف عن أنها فلسفات قيمة مادامت كل واحدة منها تدعي تقديم قواعد للفكر ذاته وقواعد للعمل والسّلوك. إنها من جهة أولى تسعى لتحديد طبيعة الحقيقة، وتسعى من جهة أخرى لتحديد خاصّة الحكمة"[12].

---

[9]- فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة، ومن أعظم الفلاسفة تأثيرا في القرن العشرين. ولد عام 1844م لقس، وتوفي سنة 1900م. ارتبط اسمه بنقد جذري للدين، وللفلسفة، وللتعلم وللأخلاق. يتجلى نيتشه مليئا بالعقل، لكنه أيضا مسلح بكل ألوان المكر والدهاء المستورة التي هي من شيمة كاتب الرسائل الهجومية، وهو في ذلك يستخدم كل الأسلحة التي تحت تصرّفه: تحليله النفسي الدقيق، سخريته اللاذعة، حماسته وخصوصا أسلوبه. انظر موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1-1984م 2/508-509.

[10]- موسوعة لالاند الفلسفية: لالاند، ص1524.

[11]- تعدّدية القيم: طه عبد الرحمان، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية- مراكش، ط1- 2001، ص11.

[12]- العمدة في فلسفة القيم: عادل عوا، ص48.

تداول الفلاسفة لمدلول القيمة:

يقسّم الباحثون المراحل الكبرى في تطور الفكر البشري استنادا إلى وجهة النظر الغربية، وهي العصر القديم الذي يبدأ بنشأة الفكر الفلسفي في اليونان، ثم العصر الوسيط، وأخيرا العصر الحديث في القرن السابع عشر الذي يستمر إلى الآن[13].

في العصر القديم بدت القيمة في نظر مفكّريه، أول ما بدت، على أنها إعراب عن مثل أعلى إنساني محدّد باعتبار علاقة الطبيعة بالعقل، وقد ذهب هؤلاء المفكرون، بوجه عامّ، إلى أنّ على المرء أن يحيا بحسب الطبيعة، لذا كان عليه تمثّل الاعتدال والسيطرة على الذّات[14].

وفيه برز اتجاهان قام بينهما صراع، يمثلهما بروتاغوراس[15] الذي يتخذ الإنسان مقياس كلّ شيء، وأفلاطون[16] الذي يرى أنّ المثل الأعلى، أو الله، أو القيمة، مقياس الأشياء كلّها[17]. وبروتاغوراس هو رائد فكرة حديثة تقول بأنّ لكلّ إنسان حقيقته إنما يضمر في الواقع إيمانا بأن الحقيقة لا بدّ وأن تخضع لقيمة، هي قيمة الحقيقة، وإن كانت القيمة بذاتها واقعا ذاتيا، بدل أن تكون كامنة في المثل الأعلى الأفلاطوني، وإذ ذاك تكون حقيقة القيمة، وقيمة الحقيقة واقعا واحدا، واقعا كليا أو موضوعيّا[18].

وفي العصر الوسيط نفذ الفكر المسيحي إلى الفلسفة القديمة، وانتهى إلى إخضاع مشكلة الوجود لمشكلة القيمة، ولهذا كان مفكرو هذا العصر يعنون بالتوفيق بين الفلسفة والمسيحيّة، فالإيمان هو الينبوع الأسمى للكائن وللقيمة معا[19]. وعلى هذا النّحو تمّت الاستعاضة عن المثل الأعلى الإغريقي القائل بالاعتدال وبالسيطرة على الذات بمثل أعلى مسيحي يتعالى على النفس البشرية ويهبها حركة لا نهائيّة[20] فمعاني القيمة كانت تنتقل مع تصوّر الفلاسفة للإنسان وللوجود، فإن كان الإنسان هو مركز الكون كانت القيمة تابعة له، وإن كان الوجود كانت القيمة فيه، والإنسان تابع له.. ما فتئ المفكرون والفلاسفة تتمخّض عقولهم عن رؤى متباينة للإنسان والواقع والتّفاعل بينهما وإخضاع أحدهما للآخر ومع هذا الثّراء الفكريّ أو السفسطة العقليّة كانت القيمة بما تحمله من معنى تتبع أفكارهم واجتهاداتهم التي تنزل على واقعهم وصراعهم، كلّ مفكّر يرى القيمة في موضوع وفلسفة مغيرة لمن يخالفه. وفي العصر الحديث تبدّى الإنسان

---

[13]- انظر المصدر نفسه، ص55.

[14]- انظر المصدر نفسه، ص101.

[15]- فيلسوف يوناني، ولد حوالي 485 ق.م وتوفي عام 411 ق.م. انظر معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي، دار الطليعة- بيروت، 1987م، ص153.

[16]- فيلسوف يوناني. ولد في أثينا عام 428 ق.م. تتلمذ لسقراط. قضى حياته يفكر في السياسة ويمهد لها بالفلسفة، ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها. له: المحاورات. انظر تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص75-76. وموسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، 154/1.

[17]- انظر المصدر نفسه، ص58-59.

[18]- انظر المصدر نفسه، ص58-59.

[19]- انظر المصدر نفسه، ص75.

[20]- انظر المصدر نفسه، ص103.

الذي يسعى إلى السّيطرة على الطّبيعة وعلى الخيرات المتاحة فيها وتسخيرها لصالحه، فاتخذ "الواقع موضوعا يحاول تسخيره لمآربه والسيطرة عليه باستثمار معرفة قوانينه. أمّا القيمة فإنها تتمثّل في ممارسة هذه السّيطرة، وهي تتحقّق بالعمل العقلي في المجال النّظري، وبالفعل الأخلاقي في المجال العمليّ"[21].

إنّ هذا التحوّل في مسار القيم من التأثّر إلى التّأثير ومن التكوّن إلى التّكوين يأتي من تقييم المجتمع وأفراده في البداية، ثمّ يرقى إلى قيم عليا ينشدها أولئك الأفراد ويقيمون سلوكاتهم وأفعالهم تبعا لها انطلاقا من المصادر التي تنبع منها وتتأسّس عليها ليس قيم معيّنة فقط بل منظومة كاملة من القيم.

المطلب الثالث: مصادر القيم

هناك ثلاث مصادر رئيسة للقيم؛ وهي: الدّين، العقل، والثّقافة. إلاّ أنّه لا تتّفق كلّ المذاهب الفلسفية والملل عليها مجتمعة، فنجد من يعلي من شأن العقل ويجعله المبدع الوحيد للقيم والحاكم عليها بالحسن أو القبح، أمّا من يعتبر الدّين أوّل وأهمّ أو المصدر الوحيد للقيم فلقدسيّة مصدره ولأنّه هو الموجّه للعقل والحامي له من الانحراف والجهل. وبالنّسبة للثّقافة فهي مزيج من الرّصيد الذي يتهيّأ للمجتمع من العادات والتّقاليد والسّلوكات، ولا يخفى ما تتلقّاه المجتمعات على تنوّع هويّاتها وحضاراتها من قيم من مجتمعات وشعوب أخرى بواسطة التّواصل الثّقافي الذي تخلّل كلّ الميادين الاجتماعية، والاقتصادية والأدبيّة...إلخ.

1- الدين:

هو أوّل مصادر القيم وهو الحكم الفيصل على الأشياء بالحسن والقبح، قال تعالى:{ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** }[22]. ويقول تعالى: {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[23].

وتأتي أهميّة إيراده بشيء من التّفصيل لبيان السّلطة التي له على حياة الإنسان والمجالات التي يمسّها؛ ولتبيين النّظرة الخاطئة عن تقليص دوره التي يتبنّاها معظم النّاس عن وعي أو غير وعي، وأمّا أهمّ نقطة ينبغي تسجيلها فهي إلصاق الملحدين وغير المسلمين (المنتمين إلى الديانات السّماوية المحرّفة) بدين الإسلام ما بدا لهم منتميا إلى خانة "الممنوع"، في حين أنّهم هم يدينون ويخضعون لقوانين وضعيّة أو مذاهب لها قوانينها وأسسها، لذا كان من الواجب دراسة مفهوم الدّين دراسة موضوعيّة بعيدا عن العقليّات المتحجّرة التي لا تفتأ تزيد وتنقص من الدّين من دون معايير واضحة ومنطقيّة.

مفهوم الدين:

---

[21]- المصدر نفسه، ص105.

[22]- الجاثية:18.

[23]- الروم:30.

لغة: الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل.

فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين دينا، إذا أصحب وانقاد وطاع. وقوم دين، أي مطيعون منقادون. والمدينة كأنها مفعلة، سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر. والمدينة: الأمة. والعبد مدين، كأنهما أذلهما العمل.

فأما قوله جل ثناؤه: {**ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك**}[24]، فيقال: في طاعته، ويقال في حكمه.

ومنه: {**مالك يوم الدين**}[25]، أي يوم الحكم. وقال قوم: الحساب والجزاء. وأي ذلك كان فهو أمر ينقاد له[26].

والدين: العادة والشأن. تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني أي عادتي[27].

المعاني التي تدور حولها كلمة دين[28]:

كلمة دين تؤخذ تارة من فعل متعدّ بنفسه:" دانه يدينه"، وتارة من فعل متعدّ باللام:" دان له"، وتارة من فعل متعدّ بالباء:" دان به" وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصّيغة.

– فإذا قلنا دانه دينا؛ عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه وساسه، ودبره وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه وكافأه. فالدين في هذا الاستعمال يدلّ على معنى الملك والتصرّف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتّدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة. و"الديّان" الحكم القاضي.

– وإذا قلنا دان له أردنا أنه أطاعه، وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع والطّاعة، والعبادة والورع. وكلمة "الدين لله" يصحّ أن منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله.

– وإذا قلنا دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا أو عمليا. فالعملي لكل امرئ هو عادته وسيرته. والنظري هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه.

وجملة القول أن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له.

الاختلاف حول مفهوم الدين:

---

[24]– يوسف: 76.

[25]– الفاتحة 4.

[26]– معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر– 1399، 319/2.

[27]– لسان العرب: ابن منظور، 164/13.

[28]– الدين(بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)–: محمد عبد الله دراز، دار القلم– الكويت– ص30.

الكثير من التّضاربات أثيرت حول العناصر التي تدخل في مسمّى الدّين، فما بالك بإعطائه مفهوما متقاربا، مع ما لكل دين من اعتبارات عقديّة وتاريخيّة خاصّة به.

بالرجوع إلى الاستعمالات اللغوية للدّين يقول درّاز: "إن الذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات هو الاستعمالان الأخيران، وعلى الأخص الاستعمال الثالث. فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير. أحدهما هذه الحالة النفسية التي نسميها التديّن. والآخر تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقادا أو عملا. وهذا المعنى أكثر وأغلب"[29].

فيبدو أن الإشكال في تعريف الدين يكمن في اختلاف التصورات حول العناصر التي تدخل في مسمى الدين، كذلك يرجع إلى الزاوية التي ينظر من خلالها صاحب التعريف، فهناك من يعرفه باعتباره أمرا شخصيا ذاتيا، ومن يعرفه باعتباره أمرا موضوعيا بالنظر إليه على أنه حقيقة خارجية، لإيمانه بوجود ذات حقيقية هي الله أو الآلهة أو الكائنات محل التقديس، أو من يحاول أن يمثل لسان معتنقي الدين وينوب عنهم دون أن يعتقد بما يعتقدونه إلى غير ذلك من الحالات[30].

هذا إضافة إلى طبيعة الدّين التي هي علاقة بين طرفين وعلم الإنسان ينحصر في الطّرف الذي يمثّله هو، وتفاعلاته اتجاه هذه العلاقة هي أهم ما يبحث فيه علماء الدين، وتتعلّق بهذه الانفعالات– أو هذه الخبرة– عقيدة كما تتعلّق بها شعائر خاصّة تجاه القوى الإلاهيّة[31]. هذا فضلا عن أنّ أي نظم اجتماعية يعتورها التطور والتشعب والتفريع، ولا شكّ أن هذا التحول الدينامي في الوضعية الدينية قد يبعدها عن أصلها في نقائها وصفاء جوهرها[32].

إطلاقات الدين في القرآن:

يقول المودودي[33]: " إن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانونا من القوانين أو نظاما من النظم سلطة الله تعالى؛ فالمرء لاشكّ في دين الله عزّ وجلّ، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك؛ فالمرء في دين الملك، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم. وكذلك إن كانت تلك السّلطة سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة،

---

[29]– الدين: دراز، ص32.

[30]– انظر عرض نشأة الأديان الوضعيّة ونتائجه في القرآن الكريم والمذاهب الوضعيّة الحديثة: عدنان بن عطية، مذكّرة ماجستير، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 1439هـ، ص 75-76.

[31]– انظر ثقافة سياسيّة: ماهر كامل– أمين صالح، مكتبة الأنجلو المصرية،1957، 265/1.

[32]– الاجتماع الديني: أحمد الخشّاب، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3– 1970، ص70.

[33]– المودودي: من بلاد أفغان، ولد عام 1903م، وتوفي سنة 1979م، داعية ومفسر. أسس حركة إسلامية.من مؤلفاته: المصطلحات الأربعة في القرآن، الحجاب. انظر الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم: أليف الدين ترابي، رسالة ماجستير، مكة، 1403هـ، ص122 وما بعدها

فالمرء لا جرم في دين هؤلاء. وموجز القول أن من يتّخذ المرء سنده أعلى الأسناد وحكمه منتهى الأحكام ثم يتبع طريقا بعينه بموجب ذلك فإنه لا شكّ بدينه يدين"[34].

وإذا تأمّلنا المذاهب والأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة نجد أنها ليست مجرّد مذهب اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي وإنما هو تصوّر اعتقادي أيضا. فالعلمانية مثلا نظام سياسي صادر عن تصوّر اعتقادي بأن الدين لله والوطن للجميع ولا ضرورة لتدخّل الدين في شؤون الدّولة[35].

قال تعالى:{ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**}[36].

هذا و"بملاحظة جميع ما ورد في القرآن من تفاصيل لقصة موسى عليه السلام وفرعون، لا يبقى من شكّ في أن كلمة الدين لم ترد في تلك الآيات بمعنى النحلة والديانة فحسب، أريد بها الدولة ونظام المدنية أيضا. فكان مما يخشاه فرعون ويعلنه أنه إن نجح موسى عليه السلام في دعوته فإن الدولة ستزول وإن نظام الحياة القائم على حاكميّة الفراعنة والقوانين والتقاليد الرّائجة سيقتلع من أصله. ثمّ إما أن يقوم مقامه نظام آخر على أسس مختلفة جدّا، وإما ألا يقوم بعده أي نظام بل يعمّ كلّ المملكة الفوضى والاختلال"[37].

قال تعالى:

1. {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**}[38].
2. {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}[39].
3. {**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**}[40].
4. {**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**}[41].
5. {**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**}[42].

المراد بالدين في جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية. فقد قال الله تعالى في الآيتين الأولين إن نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله

---

[34]- المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو الأعلى المودودي، دار القلم- الكويت، ط5، 1391، ص125.

[35]- نظر علم الاجتماع الديني: عبد الله الخريجي، ص36.

[36]- غافر:26.

[37]- المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو الأعلى المودودي، ص128.

[38]- آل عمران:19.

[39]- آل عمران:85.

[40]- التوبة:33.

[41]- الأنفال:39.

[42]- سورة النصر.

وعبديته، وأما ما سواه من النظم المبنية على إطاعة السلطة المفروضة من دون الله فإنه مردود عنده. وقال في الآية الثالثة أنه قد أرسل رسوله صلّى الله عليه وسلّم بذلك النظام الحقّ الصّحيح للحياة الإنسانيّة – أي الإسلام- وغاية رسالته أن يظهره على سائر النظم الحياتيّة. وفي الرابعة قد أمر الله المؤمنين بدين الإسلام أن يقاتلوا من في الأرض ولا يكفّوا عن ذلك حتّى تمّحي الفتنة، وبعبارة أخرى حتّى يمّحي جميع النّظم القائمة على أساس البغي على الله، وحتّى يخلص لله تعالى نظام الإطاعة والعبديّة كلّه. وفي الآية الخامسة قد خاطب الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم حين تمّ الانقلاب الإسلامي بعد الجهد والكفاح المستمرّ مدّة ثلاث وعشرين سنة، وقام الإسلام بالفعل بجميع أجزائه وتفاصيله نظاما للعقيدة والفكر والخلق والتعليم والمدنية والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وجعلت وفود العرب تتتابع من نواحي القطر وتدخل في حظيرة هذا النّظام[43].

لذلك كانت كلمة الدين في القرآن تقوم مقام نظام بأكمله يتركّب من أجزاء أربعة هي:

1. الحاكمية والسلطة العليا.
2. الإطاعة والإذعان لتلك الحاكميّة والسّلطة.
3. النّظام الفكري والعملي المتكوّن تحت سلطان تلك الحاكميّة.
4. المكافأة التي تكافؤها تلك السلطة العليا على اتباع ذلك النّظام والإخلاص له أو على التمرّد عليه والعصيان له.

ويطلق القرآن كلمة الدين على معنييها الأول والثاني تارة، وعلى المعنى الثالث أخرى وعلى الرابع ثالثة، وطورا يستعمل كلمة الدين ويريد بها ذلك النظام الكامل بأجزائه الأربعة في آن واحد[44].

الخلاصة:

تبيّنت إلى هذا الحدّ المعاني التي استعملها القرآن الكريم عند حديثه عن الدّين، بوصفه مصطلحا جامعا شاملا يراد به نظام للحياة، وفي الآية التالية قد استعمل الدين بصفة هذا المصطلح الجامع:

الأول والـثانـي الرابـع الثالث

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[45].

---

[43]- المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو الأعلى المودودي، ص 128-130.

[44]-المصدر نفسه، ص120.

[45]- التوبة:29.

الدين الحق في هذه الآية كلمة اصطلاحية قد شرح معانيها واضع الاصطلاح نفسه عزّ وجلّ، في الجمل الثلاث الأولى، وقد أوضحت العلامات على متن الآية جميع معاني كلمة الدين الأربعة[46]، ثم عبّر عن مجموعها بكلمة (الدين الحقّ)[47].

الدّين بذا هو المصدر الأوّل للقيم والحاكم عليها أيضا بالخيريّة أو الصّواب، وبه تقاس وعلى أساسه، لأنه النظام الشامل لكلّ حياة الإنسان ومنذ ولادته.

المعنى الخاصّ للدين في القرآن

معلوم أنّ الدّيانات التي ظهرت من القديم إلى الآن قد سمّيت بأسماء أخذتها من انتسابها إلى مؤسّسها أو حتّى إلى رجل أتى بعده، أو من الأمّة التي قامت فيها تلك الديانة، أو إلى الشّيء أو الكائن الذي تعبده وتدين له، فالمسيحية، مثلا أخذت اسمها من السيد المسيح، واليهودية ظهرت في قبيلة تعرف بيهوذا فسميت باليهودية... إلا أنّ دين الإسلام لا ينتسب إلى رجل ما، ولا أمة مخصوصة، وإنما جاء اسمه من المعنى الذي يتضمّنه، وكما مرّ في عنصر سابق فإنّ كلّ من دخل في دين الله – الذي أرسل به الرسّل ودعا إليه الأنبياء– الذي ارتضاه للبشر فهو مسلم، من لدن آدم – عليه السّلام– إلى سيّدنا محمّد– صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم– حتّى تقوم السّاعة. فما هو معنى هذا الإسلام الذي جمعت دلالته كلّ الأديان تحته؟

مفهوم الإسلام:

الإسلام في اللغة الانقياد، لأنه من يسلم، من الإباء والامتناع[48]، أما تسمية الدّين بالإسلام فلأنّه يحمل معنى الخضوع لله تعالى مع تسليمٍ تامّ له من غير سخط ولا اعتراض، بل الرّضا بما شرعه والاطمئنان في الالتزام به.

وهذا التّسليم والخضوع يسري على كلّ المخلوقات من الحيوانات والجمادات من أصغر ذرّة إلى أكبر مجرّة، الكلّ يُسيّر بالقانون الذي وضعه المولى تعالى ووفقا له.

تكفّل الله الكريم بهداية الصّالحين والباحثين عن الطّريق الحقّ؛ تكفّل بهدايتهم الصّراط المستقيم: **{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[49]، إذا ما اتبعوا الدين الذي يكفل مصالحهم في العاجلة والآجلة؛ مع توفّر جوهر التديّن؛ ألا وهو الإخلاص لله تعالى: **{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**[50]. الدّين والإسلام يفسران

---

[46]– ذكرت هاته المعاني في الصفحة ، في عنصر (الدين وإطلاقاته في القرآن).

[47]– انظر المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو الأعلى المودودي، ص126-127.

[48]– معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، 90/3.

[49]– الأنعام:161

[50]– الأنعام :162-163.

بعضهما بعضها في كتاب الله، قال سبحانه: { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** }[51]، وقال تعالى: {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**}[52]، فهو الدّين الخاتم الذي ارتضاه الله لعباده:{**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}[53].

2- العقل:

في اعتبار العقل مصدرا من مصادر القيم تفاوت وأيضا تصادم، فهناك من يعدّه المصدر الوحيد بقوانينه والمبادئ التي تحكمه، وهناك من يقول بأنّه هو؛ ولكن بردّ أصوله وخيريّته إلى إرادة الله، ومن قائل بأنّ هذا العقل باتّباعه المنهج السّليم يساهم في إنتاج القيم المولّدة عن القيم المطلقة والفطريّة.

إنّ الاتّجاهات العقلانيّة ترجع حقيقة القيم الخلقية إلى العقل؛ أي إلى حركة العقل طبقا لحقيقة بديهيّة ثابتة موجودة في ماهية كلّ كائن، وماهية الشّيء هي التي تفسّر قيمته، وهذه الماهية ثابتة لا تتأثّر بالزّمان لأنّها مطلقة. فهي صادرة عن مبادئ عامّة ويقينيّة لخلوّها من كلّ مرمى أو منفعة ذاتية أو اجتماعية[54].

ما هو هذا العقل؟ وهل هو حقّا ما يميّز الإنسان عن الحيوان؟ وما مدى صدق سلامة قراراته وقوانينه؟

إنّ العقل، عقل الإنسان الذي ميّزه الله به على سائر المخلوقات هو الأداة التي بها ينشد تحقيق الخيريّة في الدّنيا مطيّة الآخرة انطلاقا من التدبّر الحكيم للقرآن الكريم، فشروط سلامته مرهونة باستمداده أنواره من الوحي الكريم، بعيدا عن هدايات القرآن الكريم هو لا يملك أسباب النّجاة لأنّه يخدم نفسا ذات فجور وتقوى إذا لا ضمانات لسلامة القيم والمقاصد التي ينشؤها ويولّدها.

"المقاربة الأرسطية تعتبر أن العقل هو المولّد للمعرفة، في حين أنّ العلوم الإسلاميّة تأسّست انطلاقا من النّقلة الكبيرة التي في الوحي، والّتي تعرض العقل باعتباره مكتشفا لهذه المعرفة ومستنبطا لها، وليس مولّدا لها. وشتّان بين المقاربتين: مقاربة التوليد ومقاربة الاكتشاف والاستنباط"[55]. والذين يقولون بأنّ العقل هو المصدر الأوّل للقيم فلقدرته على تصوّر المصالح وجلبها والمفاسد ودرئها، ومن ثمّ تبنّي أو إبداع القيم.

مفهوم العقل:

---

[51]- النساء:125.

[52]- آل عمران:19.

[53]- آل عمران:85

[54]- إشكاليات فلسفية: حسين بن عبد السلام، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية- 2007، الجزائر، ص131.

[55]- أحمد عبادي: العلوم الإسلاميّة: الاستيعاب والتّجديد، مجلّة الإحياء، العدد 29، 1430هـ- 2009م، ص 77.

يعطي النّاس كل هذا الاهتمام الكبير للعقل ويولونه عناية خاصّة وينسبون إليه الرقيّ والمظاهر الفاضلة للحضارة أو ما يعتقد أنّها كذلك لما يروّج لهذا العقل من أن له السيادة الغالبة على النّوازع الإنسانيّة التي تصدّ صاحبها عن الممارسات الخيّرة والقيّمة، ومعنى العقل اللغوي يدلّ بوضوح على ذلك فهو ما يحبس عن القول والفعل السيّئين.

العقل لغة:

العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عُظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[56]. فالعقل والإمساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الإرسال والإطلاق والإهمال والتسييب ونحو ذلك[57].

وأمّا مفهوم العقل عند العلماء فواجب الوقوف عليه لنستبين هذه الماهية التي تعتبر أصل القبول والرفض.

العقل عند العلماء:

جاء الحديث في موسوعة لالاند عن العقل بوصفه ملكة وبوصفه موضوع معرفة:

- بوصفه ملكة:

أ. ملكة الاستدلال نظريا بالعقل، ملكة تركيب المفاهيم والقضايا والعبارات والمقترحات.

ب. ملكة الحكم السليم، أي ملكة تمييز الخير والشرّ، الصحيح والفاسد بشعور داخلي، فطري وتلقائي.

ج. معرفة طبيعة، طالما أنها تتعارض مع المعرفة المنزّلة، وهي موضوع الإيمان.

د. منظومة مبادئ قبلية، لا تتوقف حقيقتها على التجربة، يمكن صوغها منطقيا، ونحن نعرفها معرفة عقلية. إن معرفة الحقائق الضرورية والأزلية هي ما تميزنا من البهائم العادية وتجعلنا نملك العقل والعلوم، وذلك برفعنا إلى معرفة أنفسنا ومعرفة الله.

- -بوصفه موضوع معرفة:

أ. علاقة. عقل أوسط أو أقصى. عقل متوالية.

ب. مبدأ تفسيري، بالمعنى النظري، ما يحيط بنتيجة. بهذا المعنى، يعارض العقل، إما مع السببية الفعالة البسيطة، وإما مع البرهان المنطقي الذي يلزم بالموافقة، لكن دون تنوير الفكر.

ج. بالمعنى المعياري، سبب أو دافع شرعيّ، تبرير أو تسويغ. وتاليا، حجة ترمي إلى البرهان على أن المرء محقّ حتى إن لم تكن هذه الحجة صالحة [58].

عند علماء المسلمين:

---

[56]- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، 69/4.

[57]- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: ابن تيمية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط1- 1408، ص250.

[58]- موسوعة لالاند: لالاند، ص1159-1163.

يرى كثير من الأصوليين والفقهاء وعلماء الكلام "ومنهم أحمد بن حنبل، والحارث المحاسبي[59]، وابن تيمية، وأبو حامد الغزالي أنّ العقل عَرَض من أعراض النّفس الإنسانيّة، ولكنّه ليس هو العلم؛ لأنّه إنّما ينشأ عنه وإنّما هو غريزة أو وصف أو قوّة للنّفس. وأقرب التّعريفات التي تمثّل هذا الاتّجاه تعريفهم إيّاه بأنّه (غريزة يتوصل بها إلى المعرفة) وهو تعريف للمحاسبي"[60].

جاء في المستصفى: "اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية ويطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية. ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة، حتى إن من لم تحنكه التجارب بهذا الاعتبار لا يسمى عاقلا.

ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء.

وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم حتى أن المفسد وإن كان في غاية من الكياسة يمنع عن تسميته عاقلا، فلا يقال للكافر عاقل وإن كان محيطا بجملة العلوم الطبية والهندسية بل إما فاضل وإما داه"[61].

تتعدّد معاني العقل واستعمالاته، حتّى أنّه كما جاء في موسوعة لالاند يطلق على الدافع الذي ألصقت به صفة الشّرعي لأنّه يملك الحجة الأقوى لكن ليست الأصوب، وبذا فهو يعارض العقل بالمعنى أ وب. فالعقل قد يستعمل بمعنى ضدّ معناه المتعارف عليه. وهذا ما يطرح التساؤل حول مدى موضوعيّة العقل وسلامة قراراته.

موضوعيّة العقل:

في القرن الذي تطوّرت فيه العلوم في أروبا وصل الأمر بالنّاس إلى جعل العقل وقوانينه ومبادئه بمثابة قانون أعلى مقدّس، وما يصدر عنه من اكتشافات وإبداعات– خاصّة ما يتعلّق بالتّقانة والعلوم– أهمّ ما يقوّمون به حيواتهم، فمع التشنّج السّائر إلى فقدان الإحساس بالحياة الرّوحيّة النّاجم عن العلاقة المعروفة مع الكنيسة والدّيانة النّصرانيّة المحرّفة؛ ساد وطغى الجوّ المليء بنبذ وهجر كلّ ما يمتّ للدّين بصلة حتّى الأخلاق! ولكن لم يتعامل مع هذا العقل بموضوعيّة، فمن جهة تمّ الوثوق به ورفع مكانته، ومن جهة أخرى أُريد لهذا العقل ألاّ يخطو خطواته ما وراء المادّة وقانون الأسباب لأنّ من المبادئ الملازمة للعقل السّببيّة، والغائيّة، وعدم التّناقض، والتي إن تخلّفت عنه فالواجب اعتبار أنّ ما ينتجه أو يتوصّل إليه ليس من قبيل المعرفة والعلم الموضوعيّين، لذا كان من الغريب أن لا يولي ضمير البشريّة هذا الموضوع الاهتمام اللاّئق به! بل على العكس من ذلك كان التوجّه السّائد ولا يزال التوقّف عن البحث عن السبب والغاية النّهائية للموجودات، وقد يتبنى كثر من الباحثين فرضيّات تقودهم إلى الإلحاد وإنكار قوّة عليا.

---

[59]– أبو عبد الله الحارث المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور. له كتب في الزهد والأصول. وكتاب الرعاية له. توفي سنة243هـ. انظر وفيات وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر–بيروت، 1900م، 2/57–58.

[60]– العقل وعلاقته بالنصّ الشّرعي: محمد نعيم ياسين، مجلّة الشريعة والقانون، العدد41، محرم 1431هـ ، ص39.

[61]– انظر المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تحقيق محمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1– 1413هـ، ص70.

إنّ العقل الذي يسوّى بينه وبين البداهة السّديدة يعني الاعتراف بأنّ لدى كلّ امرئ سويّ قدرة حقيقيّة (أو عينية) على إدراك أنّ قضايا معيّنة صائبة أو خاطئة، وتقدير فروق الاحتمالات، وتمييز الأفضل والأسوأ في مجال الفعل والإنتاج[62]. وهذا ما لا يؤكّده الواقع، لذا كان فقدان الثّقة فيما يتوصّل إليه العقل الذي يبحث ويطمح للمعرفة والعلم نتيجة حتميّة، وكونه مصدرا من مصادر القيم لم يعطه الأهليّة في الحكم عليها.

3 – الثّقافة:

لغة:

ثقف حاذق فهم، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم. ثقفت الشيء: حذقته وثقفته إذا ظفرت به، قال الله تعالى:{**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**}[63]. وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا[64].

اصطلاحا:

تطوّر مفهوم الثّقافة عبر مراحل زمنيّة متباعدة إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن. ابتداء برز مفهوم الثقافة في عصر النّهضة، عندما شهدت أوربا في القرن السادس عشر ازدهارا في الفنّ وفي الأدب وفي الفكر.

إنّ المجالات المختلفة للثّقافة التي نلحظها في حياتنا ونعتبرها من مكوّناتها تبيّن التّفاعلات والتّأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع من جهة، وبين الفرد والمجتمع وواقع الحياة من جهة أخرى"فالثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظريّة في المعرفة"[65].

وهي إذن تتعرّف بصورة عمليّة على أنها " مجموعة من الصّفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثّر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" فهي على هذا التّعريف المحيطُ الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيّته[66].

أمّا معناها في التّاريخ فهو الوسط الذي تتشكّل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضّر، وهي الوسط الذي تتشكّل فيه كلّ جزئيّة من جزئيّاته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، وهكذا يتركّب التّاريخ. إنّها تلك الكتلة نفسها بما تتضمّنه من عادات متجانسة، وعبقريّات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة[67].

---

[62]– انظر العقل والمعايير: أندريه لالاند، ترجمة نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص5.

[63]– الأنفال:57

[64]– لسان العرب: ابن منظور، 19/9.

[65]– مشكلة القافة: مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4–2000، ص73.

[66]– المصدر نفسه، ص47.

[67]– انظر المصدر نفسه، ص77.

وابتداءً تتشكّل الثّقافة من رصيد المجتمع التّاريخي؛ من لغته، دينه، عاداته، معارفه. ويتدخّل التّفاعل مع الوارد من مكوّنات الثّقافات الأخرى والمغايرة التي تهدّد بتغيير القيم الأصيلة للمجتمع. والقيم ترتبط أكثر ما ترتبط بكلّ ما له شأن وقيمة في حياتنا ورغباتنا سواء أكان له مصلحة بعديّة أم مفسدة، أي سواء أكان حسنا أم سيّئا تبعا لما يترتّب عنه من نتائج، فإن كان أساس المجتمع صلبا بقيمه الحضاريّة وهويّته فستكون اختياراته وتطبّعاته الجديدة والمتجدّدة تصبّ في مصلحته وتراعي مستقبله، أمّا إن أصاب أرضيّته الوهن فستؤول به اختياراته وقيمه إلى الفوضى الفكريّة ومن بعدها الفوضى الأخلاقيّة والمجتمعيّة كما تطوّرت الأحداث في الكثير من البلدان التي طردت محتلّها، ولكنّها بقيت مهزومة ومصابة بكبت عميق نحو مظاهر الآخر التقدّميّة التي أسفرت عن تطوّره وما نتج عنه من مظاهر الرّفاهيّة لمواطنيه.

تسهم مختلف العوامل الثقافية في بيئتنا الفكرية والطبيعيّة في تبنّينا بوعي أو بغير وعي للكثير من القيم التي نحيا بها أو التي نضطرّ لاختيارها. فكلّ مجتمع عبر الثّقافة السّائدة فيه ينشؤ في الغالب الأحكام الذّاتية التي يصدرها الأفراد والمتعلّقة باللّذة والألم، والفرح والسّعادة، والمصلحة والمفسدة، وتأتي سلطة هذه القوّة للثّقافة على العقول والسّلوكات والاختيارات ممّا نَعْرفه بعمليّة التّربية –وفقا للثّقافة السّائدة أو المتبنّاة– أي تحديد مسبق لأسلوب الحياة، "فكلّ واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيّز التنفيذ ولو أنّنا حلّلنا واقعا اجتماعيا فسنجد فيه في وضعه الراهن، أو في اطراد تطوّره عناصر أساسية أربعة: المنهج الأخلاقي والذوق الجمالي والصناعة والمنطق العملي"[68].

المقاربة التفاعلية للثقافة:

مع الامتصاص الثقافي الواحد من الثّقافات الأخرى المتعدّدة وبفعل طبيعة ثورة الاتّصالات والعلمانية لا ينبغي إهمال التطرّق إلى ما يمكن تسميته بثقافة كونيّة، فما من ثقافة توجد على حال صافية مماثلة لذاتها منذ الأزل، من دون أن يمسّها أيّ أثر خارجي. كلّ ثقافة هي صيرورة دائمة من البناء والهدم وإعادة البناء، وربّما توجّب استبدال كلمة ثقافة بكلمة تثقّف، وهي متضمّنة بعد في كلمة تثاقف للتّأكيد على بعد الثّقافة الدّيناميكي هذا. وبفعل ظاهرة التّماس الثقافي الكونيّة، التي هي ثقافات مزيج بدرجات متباينة تصنعها الاستمرارات والتقطّعات، غالبا ما يكون هناك استمرار بين ثقافتين في تماسّ موصول أكثر ممّا يكون بين حالات مختلفة تنتمي إلى النّسق الثقافي نفسه[69] بسبب الخبرات الجديدة للجنس البشريّ، وبسبب كلّ هذه المعلومات التي يتلقّاها المرء باستمرار، والأنماط الحياتيّة وتفاصيلها والتطوّرات التي تطرأ عليها. ومع مختلف التغيّرات العالميّة صارت الأنظار تتّجه صوب منابع هذه التغيّرات وتتفاعل معها ضمن تخطيط عالميّ مسبق، وكلّ ما سيتمخّض عن هذه الأحداث سيكون له ردّ فعل من المتلقّين له. لذلك كانت الثقافة مصدرا وفاعلا قويّا في القيم.

العلاقة بين مصادر القيم الثّلاث:

---

[68]– المصدر نفسه، ص104.

[69]– انظر مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، ط1-2007، ص112-115.

كما مرّ فإنّ الدّين والعقل والثّقافة كلّها تغذّي وتولّد القيم التي يحيا بها النّاس. إنها تحدّد نشاطاتهم وميولاتهم من خلال القيم المبثوثة في ثقافتهم ومحيطهم، وبما أنّ القيم تطال معنيين: التقييم المعيّن للشّيء، وتحديد المعايير والمقاييس المستعملة لإصدار الحكم؛ فهناك تأثير متبادل وتفاعل مستمرّ بين المصادر الثّلاث. في المستوى الأوّل يحكم الدّين ويقيّم من خلال سلطته، ثمّ يأتي دور العقل بتفعيل النّظر في الموازنة بين المصالح والتّفضيلات، وتوليد قيم جديدة من رحم الواقع ومتطلّباته.

هذا الحقل المشترك بين التّداخل والتأثّر المتبادل والتّمازج يجتمع في تطبّع أفراد منتمين إلى نفس نسق الثقافة. هناك جملة من "الاستعدادات المكتسبة ومخطّطات الإدراك والتقييم والفعل التي غرسها المحيط الاجتماعي داخل الفرد في زمان ومكان محدّدين. ويتوسّط التطبّع العلاقات الاجتماعية الخارجية وألوان السلوك الفرديّة فهو استبطان الشروط الخارجية الموضوعية، وهو بدوره شرط ضروري لكلّ ممارسة يقوم بها الفرد وفقا لهذا اللاوعي الثقافي. ويقوم الأفراد بأفعالهم كما ينظمونها وينسقونها في جميع ميادين حياتهم دون أن يكون ذلك نتيجة لطاعة واعية لقواعد أخلاقية أو أدبية أو فنيّة من خلال هذه الاستعدادات. وفي صميم تلقائية السلوك المعتاد وعفويّته الحرّة يبدي الأفراد بعض المعايير والقيم المضمرة. كما أنّ التطبّع في حالات قويّة يمنع ويحظر كلّ أنماط أخرى للرّغبة والسّلوك باعتبارها خارج نطاق التفكير"[70]. وعلى حسب التأثير والتغيير من مصادر القيم ومن مكونات الثقافة تتهيّأ شخصيّات جديدة في المجتمع.

المطلب الثاني:القيم في المرجعية الإسلامية

إنّ المرجعيّة هي التي تحدّد الإطار الفكري العامّ لمعالجة القيم في أيّ دين أو فلسفة أو مذهب فكريّ، كما وتحدّد القيمة النّهائيّة التي تنتهي إليها سائر القيم، هذا مع البرهان والدّليل على سلّم القيم لديها الذي تشكّل استنادا إليها، وباعتبار الجانب المعرفيّ والنّظري الذي يتحكّم في الجانب العمليّ والسّلوكي فإنّه "دونما الكشف عن الأبعاد والبنيات المعرفيّة والإدراكيّة المشكّلة للعقل النّظري لا يمكننا أن نفهم المستويات العمليّة سواء القيميّة- الأخلاقيّة أو السياسيّة. فكلّ سلوك بشريّ هو مرتبط بمرجعيّة نهائيّة نظريّة أو معياريّة، بمعنى منظومة اعتقاديّة موجّهة للتصوّرات وللسّلوكات وللعلاقات"[71].

فما هي المرجعيّة التي تستند إليها القيم الإسلاميّة؟ وهل من الممكن أن يكون هناك قدر مشترك في مرجعيّات مختلفة لقيم مجتمعات لا تربطها نفس اللغة ولا نفس الدّين ولكن تربطها الإنسانيّة والعقل الإنسانيّ المتّزن، خاصّة في العصر الرّاهن الذي أضعفت فيه العلمانيّة الكثير من خصوصيّات المجتمعات البشريّة وهويّاتهم!؟

جدليّة القيم والمرجعيّات:

---

[70]- قواعد الفنّ: بيير بورديو، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2013، ص11.

[71]- الحداثة والسياسة والدين وسؤال القيم: عزّ الدين عزماني، مجلّة الإحياء، العددان 32-33، رمضان1431هـ، ص122.

إنّ هناك قيما يجمع عليها كلّ النّاس كالعدل، حتّى أنّ هناك من يرى إمكانيّة ألا تستند القيم إلى أيّ مرجعيّة باعتبارها قيما إنسانيّة مشتركة لا مجال للحديث عن الاختلاف فيها، وأنّ بناء منظومة قيمية بغضّ النّظر عن أيّ مرجعيّة هو الكفيل بتحقيق أقصى قدر من الاندماج بين الأمم والشّعوب وإزالة الحواجز، فهل المرجعيّات الحضاريّة المتنوّعة التي تنتمي إليها مختلف الشّعوب يجب أن تراجع هامش الخصوصية فيها لتجعله ملائما مع حقوق الإنسان ومبادئها الكونية كـقيم مشتركة؟

من هذا المنطلق تنادي المنظّمات الدولية على اختلاف مرجعيّاتها بضرورة ترسيخ قيم كالحريّة والتّسامح والتّعايش والكرامة وغيرها، معتبرة أنّها قيم إنسانيّة كونيّة لا خلاف فيها. "ولكن سؤال المرجعيّة يبقى مطروحا للنقاش بين داع إلى الاستناد إلى المرجعيّة التي تحكم كل بلد وتنظّم عقد قوانينه في جميع المجالات استنادا إلى الخصوصيّات الحضاريّة التي تميّزه عن غيره من بلدان العالم، بل وينظر إلى هذه الخصوصيّات باعتبارها نموذجا مختلفا يسهم في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش والتفاهم. ولكن هل هناك عقل واحد وفكر واحد أنشأ حقوق الإنسان؟ أو هل هناك إجماع على حقوق الإنسان كما هي مصوغة من قبل كلّ الدّيانات والفلسفات؟ الأكيد لا، فمن يملك القوّة والسّلطة وكيّف تلك الحقوق والقيم التي يدّعى أنّها عالميّة هو من دون شكّ الذي يدعو إلى تـحقيق أقصى قدر ممكن من الاندماج بين الشّعوب.

لكن المرجعيّة والخصوصيّات الحضاريّة لكلّ أمّة ومجتمع تجد نفسها حاضرة بقوّة في تحديد مفهوم القيمة وليس في القيمة ذاتها، فالحريّة قيمة كونيّة بلا خلاف لكنّها تتداول في الخطاب بمفاهيم مختلفة، فيصبح التدخّل في الشّؤون الدّاخليّة للدّول دفاعا عن الحريّة وتكريسا لها في عرف الغازي، وظلما وقهرا وكتما للأنفاس في عرف المغزوّ، ويصبح تناول المخدّرات حقّا من حقوق الإنسان باعتبار حريّة التصرّف في الجسد في عرف من يتناولها، وهي جرم في حقّ النّفس والمجتمع في عرف من يرى فيها ضررا على النّسيج الصحّي والاجتماعيّ، وقس على ذلك.

ومن هنا يبدو أنّ حضور المرجعيّة مركزيّ في بناء منظومة القيم ولا يتناقض مع طبيعة القيم الكونيّة فالمرجعيّة تحدّد المفهوم، وفي نفس الوقت تعمل على ترسيخه في المجتمع"[72].

القيم في المرجعيّة الإسلاميّة:

رغم ورود المادّة اللغويّة للقيم في القرآن الكريم مئات المرّات إلاّ أنّ المواضيع التي درست من خلالها كانت تلك المتعلّقة بتزكية النّفس والأخلاق، والتي تعرّض فيها الفقهاء إلى جانب المفسّرين والمحدّثيـن لبيان الحِكم المتضمّنة في الأحكام الفقهيّة حيث ربطوها بمقاصدها ومآلاتها التي تنتهي إلى قيم سامية علّلت بها النّصوص القرآنيّة في مواضع كثيرة

[72]– انظر القيم الإسلاميّة في المنظومة التّربويّة– دراسة للقيم الإسلاميّة وآليّات تعزيزها: خالد الصّمدي، منشورات المنظّمة الإسلامية للتّربية والعلوم والثّقافة– إيسيسكو– 1429هـ، ص13-14.

من كتاب الله، كمثل قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}البقرة:183. فجعلت التّقوى بامتثال أمر الله غاية سامية تتحقّق بالصّوم.

إنّ اهتمام العرب بمكارم الأخلاق في الجاهليّة واعتزازهم بها، ودعوة النبي- صلّى الله عليه وسلّم- إليها بعد تكليفه بالرّسالة يظهر عناية الإسلام الكبيرة بالأخلاق، عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قالت: "كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: {**وإنك لعلى خلق عظيم**}[73]"[74]. ولذلك برزت المؤلّفات فيها في وقت مبكر[75]، كيف لا والقرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة حافلان بما يؤسّس الحياة الدّنيا على كلّ خلق جميل وفضيلة، فكان دين الإسلام بحقّ الدّين الذي يلامس فطرة الإنسان، والتاريخ لا يزال يشهد دخول الخلق الكثيرين حبّا فيما جاء في هذا الديّن من القيم والآداب.

إنّ مراجعة التّراث الإسلاميّ تكشف عن غياب مصطلح القيم بالدّلالة المعاصرة لهذا اللّفظ. ويصدُق ذلك على تراث الفقه والأصول، وتراث التاريخ والرّجال، وتراث التّربية والتّصوّف، وغير ذلك. لقد استعمل العلماء مصطلحات تشتمل على ما يصنّف اليوم تحت عنوان القيم، فمصطلحات الفضائل والشّمائل والأخلاق كانت تغطّي مساحات كبيرة من خصائص السّلوك البشريّ. أمّا دوافع هذا السّلوك فكانت ترتبط بأركان الإسلام وأركان الإيمان، ومفاهيم التقوى والعبادة والجزاء، وكلّ ذلك جعل موضوعات القيم هي موضوعات الإسلام، بوصفه عقيدة وشريعة ونظام حياة، ينظّم شؤون الفرد والمجتمع، وتتكامل فيه متطلّبات العمل للدّنيا والآخرة. وتتداخل مفاهيم القيم، والمثل العليا، والأخلاق، والفضائل، والاتجاهات النفسيّة والانفعاليّة فيما بينها إلى حدّ كبير[76].

نشوء الاهتمام بالقيم:

شكّل الاهتمام المتزايد بالمصطلحات وتطوّرها والتّركيز على دلالاتها دافعا قويّا جعل دراسة القيم تطفو إلى السّطح مجبرة، خاصّة بعد الاهتمام المتصاعد والجادّ بالقيم وفلسفة القيم في الفكر الغربيّ، كما ساعد التطوّر الحاصل في علوم النّفس وتحليل السّلوك وعلوم الإعلام والاتّصال في الارتقاء بالقيم أو فلسفة القيم.

---

[73]- القلم:4.

[74]- أخرجه أحمد في مسنده، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1-1421، (148/41)، ح24601 ، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

[75]- منها على سبيل المثال: الزهد لابن المبارك(ت 181هـ)، مؤلفات الجاحظ (255هـ) الكثيرة في الأخلاق منها الحيوان والبيان والتبيين، الأدب المفرد للبخاري(ت256هـ)، إحياء علوم الدين لأبي حامدالغزالي(505هـ)، الكبائر للذهبي(748هـ)، أيضا من مؤلفات ابن قيم الجوزية (751هـ): الفوائد، مدارج السالكين، الداء والدواء. وفي عصرنا ألّف الغزالي خلق المسلم ، ومحمد عبد الله دراز دستور الأخلاق في القرآن الكريم، هذا بالإضافة إلى البحوث الأكاديمية الكثيرة في الأخلاق والقيم.

[76]- انظر التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم: فتحي ملكاوي، ص8-9.

وكان لزاما على الباحثين المسلمين الاهتمام بهذا الموضوع – خاصّة لارتباطه القويّ بالتّربية التي تعدّ في جوهرها عمليّة قيميّة– لخطره ومساسه بمرتكزات ومبادئ دين الإسلام بعد أن صارت قيم الفكر الغربي الذي يخالف الفطرة ويقهر الطبيعة هو السّائد سواء بقوّة المال أو قوّة المعرفة، ولتراجع تأسيس المسلمين قيمهم على مرجعيّتهم.

مفهوم المرجعيّة:

تعني المرجعيّة الفكرة الجوهريّة التي تشكّل أساس كلّ الأفكار في نموذج معيّن، والرّكيزة النهائية الثابتة له التي لا يمكن أن تقوم رؤية العالم دونها، فهي ميتافيزيقا النموذج. والمبدأ الواحد الذي تردّ إليه كلّ الأشياء وتنسب إليه ولا يردّ هو أو ينسب إليها[77].

والنموذج: بنية فكرية تصورية يجردها العقل الإنساني من كم هائل من العلاقات والتفاصيل فيختار بعضها ثمّ يرتبها ترتيبا خاصا، أو ينسقها تنسيقا خاصا، بحيث تصبح مترابطة بعضها ببعض ترابطا يتميز بالاعتماد المتبادل، وتشكل وحدة متماسكة يقال عنها أحيانا عضويّة[78]. أما المعرفي فيوصف بأنه ما يتعامل مع الظاهرة من منظور كلي ونهائيّ[79].

كما ويحمل النموذج المعرفي حسب الفاروقي[80] رؤى الإنسان الفيزيقية والميتافيزيقية، ونظامه القيمي وعلاقاته المعيارية، ومصادر تشكيل معرفته، وإطاره المرجعي، وهذا يجعل النموذج أداة تحليلية يمكن من خلالها إدراك جوهر الظاهرة وفروعها، ويساهم في عملية التفسير بصورة أساسيّة[81].

إنّ المعايير الداخلية التي تتكون من معتقدات وفروض ومسلمات وإجابات عن أسئلة كلية ونهائية هي التي تقف خلف النموذج وتشكل جذوره الكامنة وأساسه العميق، وتزوده ببعده الغائيّ، وهي جوهره والقيمة الحاكمة التي تحدّ حلاله وحرامه، وما هو مطلق وما هو نسبي من منظوره. إنها باختصار مسلّمات النموذج الكلية أو مرجعيّته التي تجيب على الأسئلة الكلية والنهائيّة، ما الهدف والغاية من الوجود في الكون؟ هل الإنسان مادّة وحسب، أم مادّة وروح؟ أين يوجد مركز الكون: أيكون كامنا فيه أم مفارقا له؟[82].

إن دين الله هو إذن مرجعيّة المسلمين، بما هو هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية. ولكن الفرد أو مجموعة الأفراد قد يتبنّون قيما ولدت من مرجعيّة بذاتها وإن انتموا لمرجعيّة أخرى، فالأولى

---

[77]– موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق– القاهرة، 1999، 54/1.

[78]– المصدر نفسه، 107/1.

[79]– المصدر نفسه، 122/1.

[80]– ولد إسماعيل الفاروقي في فلسطين عام م1921، وانتقل فيما بعد إلى أميركا، وتوفي عام 1986م. ألف عددا من الكتب الموسوعيّة المتميزة في تاريخ الأديان والأديان المقارنة وفلسفة الأديان، منها الأطلس التاريخي لديانات العالم، كما له بحوث كثيرة منشورة في الدوريات العلميّة. انظر إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر– تحرير: حسن ملكاوي، رائد عكاشة، عبد الرحمان أبو صعيليك، المعهد العالمي للفكر الإسلامي– الو. م.أ، ط1– 1435، ص25.

[81]– إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر– تحرير: حسن ملكاوي، رائد عكاشة، عبد الرحمان أبو صعيليك، ص193.

[82]– انظر العالم من منظور غربي: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال– القاهرة، كتاب الهلال، عدد206، 2001، ص20–21.

تهيّؤهم لاستبطان وتمثّل قيمها بما حازته من تفوّق وسيطرة، حتّى وإن ادّعوا انتماءهم لمرجعيّتهم ، والواقع هو الذي يصدّق ذلك الانتماء أو يكذّبه.